AUSTRALIAN JOURNAL OF HUMANITIES AND ISLAMIC STUDIES RESEARCH (AJHISR)

Vol.3, Issue 1, Jan-17 to Jun-17

ARABIC - ARABIC SHORT STORY: ITS ORIGIN, DEVELOPMENT AND FORMS DURING DIFFERENT PERIODS

ARABIC – القصة القصيرة العربية; نشأتها وتطورها وأشكالها في العصور المختلفة

Tawseef Ahmad Mir
PhD Research scholar, Department of Arabic, University of Kashmir, Jammu and Kashmir

ABSTRACT

Short story, by definition, is a collection of acts and facts sequentially arranged and woven into a general theme under the shadow of personal perception. Often revealing various interactions, conflicts and associations between the charecters, short story genre of literary writings can be considered to be expression of life of all its sections and fractions represented in words depicting external events and internal feelings. The difference between the story and the real life is that the life is absolute and the story is specific. It is a narrative piece of prose which takes from half an hour to two hours to complete making it possible for it to be easy read easily in a single session. It is an interesting fact that if a novel is compressed, it becomes a short story, and if a short story is expanded, it becomes a novel. However, to some extent, there is a different between these two. The first thing that we notice is that the stories have existed in every age, are more youthful, and are considered to be the oldest literary genres from the historical viewpoint. According to a very description explanation of this genre, short story is a literary narrative tale with a relatively simple plan and a specific event about any of the aspects or events of life, arranged logically, with limited description about the characters and events, as it concludes in short span of time, though providing a meaningful conclusion in spite of being limited so far as its duration is concerned.

This paper will throw some light on Arabic Short story as a literary genre, its origin, and development. The contribution of luminary Arabic short story writers will also be elaborated. These contributions extensively nourished this literary genre from time to time with a new zeal and style, leaving the generations following them indebted for their literary heights.

KEYWORDS: Short story, Absolute, Tale, Character, Specific.

الكلمات المفتاحية : القصة القصيرة، مطلق، الحكاية، الشخصية، محدد

الملخص

القصة القصيرة عبارة عن أفعال و وقائع مرتبة ترتيبا سببيا تدور حول موضوع عام وتصور الشخصية و تكشف عن صراعها مع الشخصيات

الأخرى. إن القصة هي التعبير عن الحياة بتفصيلاتها و جزئياتها. و هي عمل روائي نثري يستدعي لقرائته نصف ساعة أو ساعتين يعنى أنها قصة يمكن أن تقرأ بسهولة في جلسة واحدة. وفي هذه الدراسة نلقي الضوء علي نشأة القصة العربية وتطورها في مختلف المراحل والعصور بالإضافة إلى مساهمة الأدباء البارزين الذين أوقفوا أقلامهم للأدب العربي عامة والأدب القصصي خاصة.

القصة في العصر الجاهلي والإسلامي

إن لفظة قصة ليست من الألفاظ الجديدة التى دخلت اللغة العربية حديثا وإنما ورد ذكرها فى التراث الادبى والعلمى القديم. كانت للعرب قصص وهو باب كبير من أبواب أدبهم وفيه دلالة كبيرة على عقليتهم. وكانت لهذه القصص فى الجاهلية الأنواع المختلفة من أمثال أيام العرب. وهى تدور حول الوقائع الحربية التى وقعت فى الجاهلية بين القبائل كيوم داحس والغبراء ويوم الفجار ويوم الكلاب أو كما وقعت بين بعض العرب أو أمم أخرى كيوم ذى قار وكان بين بنى شيبان والفرس وإنتصر فيه العرب. وكانت هذه القصص موضوع الجاهليين فى سمرهم ثم فى إسلامهم. قيل لبعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كنتم تتحدثون به إذ خلوتم فى مجالسكم؟ قال كنا نتناشد الشعر ونتحدث بأخبار جاهليتنا[1]. وكان أحاديث الهوى نوع آخر من القصص فى الجاهلية وهذا كثير فى كتب الأدب كقصة المنخل اليشكرى والمتجردة زوج النعمان وما كان بينهما من علاقة وما قيل ذلك فى قصص. وكان هناك نوع آخر من قصص العرب أخذوه من أمم أخرى وصاغوه فى قالب يتفق ذوقهم كقصة شريك مع المنذر. وقد عرفت العرب فى الجاهلية قصصا كثيرة عن الفرس أيضا وكانوا يروونها ويتسامرون بها.

ونرى بعد ذلك أن أنزل الله القرآن الكريم على رسوله صلى الله عليه وسلم وقد جاء فى القرآن الكريم كثير من القصص الدينى الراقى فالأنبياء والرسل والأمم الغابرة وما تقلبت به الأحداث معروض فى نسق قصصى سائق كقصة نوح عليه السلام وقومه و قصة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام وقصة يوسف وقصة موسى وفرعون حتى إن سورة كريمة تحمل هذا العنوان "القصص". وقد جاء لفظة "القصص" فى القرآن الكريم عدة مرات كما قال الله تعالى نحن نقصّ عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن و إن كنت من قبله لمن الغافلين.[2] وقال فى موضع آخر وقصّ عليه القصص قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين.[3] ولم يخل حديث الرسول صلى الله عليه وسلم من الجانب القصصى إذ يروى عنه أنه كان يروى لنسائه بعض القصص كقصتى حديث خرافة و قصة أهل الكهف كما كان يحبذا الإستماع لبعض القصص ومنها قصة الجساسة و الدجال. وقد قيل أيضا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه كانوا يجلسون فى المسجد بعد صلاة الفجر فإذا طلعت الشمس كانوا يتحدثون فيأخذون فى أمر الجاهلية فيضحكون و يتبسّم.[4] وهكذا نرى أن فى العصر الإسلام أيضا كان القصص موجودة ما من ناحية الفن بل من ناحية الموضوع. ثم حرص الخلفاء الراشدون على الإهتمام بالقصص فعمر بن الخطاب أذن لقاص أن يقص على النّاس يوما فى الأسبوع

وأمر بترجمة قصص العدل والسياسة. وأذن عثمان لقاص بأن يقص على النّاس يومين فى الأسبوع وأجاذ على بن أبى طالب للحسن البصرى أن يقص فى المسجد. وفى عهد الدولة الأموية أجاذ معاوية القص لجماعة من القصاصين كما أنه إصطفى شيخا من شيوخ القصص وأمره بتدوين ما يرويه ثم إتخذه قاصا له.[5] وإزدهرت فى العصر الأموى القصة الشعرية التى بلغت أوجها على يد عمر بن أبى ربيعة وأدى الخيال فيها دورا مهما فى بناء القصة. وظهرت فى ذلك العهد أيضا القصة التاريخية التى تروى أخبار العرب البائدة وملوكها ودولها والقصة الأدبية التى تحكى سير الشعراء الماضين وتروى شعرهم وأخبارهم ومآثرهم.[6]

القصة في العصر العباسي

ولقد تطوّر المبدأ القصصى على يد الكاتب الكبير عبدالله بن المقفع، فقد نقل نصوصا من اللغة الفارسية ذات أصول هندية تتمحّور حول السلطان والرعية والعدل والظلم نشرها بين النّاس تحت عنوان "كليلة و دمنة" وخلال هذه الفترة دوّنت كتاب آخر أيضا تحت عنوان "الف ليلة و ليلة" التى تشتمل على عدة قصص. ولقد عرف العرب فى هذا العصر القصة الفلسفية أيضا كقصة حى بن يقظان وكان الجاحظ صاحب كتاب البخلاء وأبو الفرج الاصفهانى صاحب كتاب الأغانى من أعلام القصة المولّدة فى ذلك العصر. وكان من الملاحظ أن القصص فى العصر العباسى إتخذت اللغات العامية لسانا لها ولم يدخل فى الأدب العربى الفصيح سوى المقامات التى هى فن قصصى ونوع أدبى جديد أنشأه بديع الزمان الهمدانى فى القرن الرابع الهجرى. وهى فى إصطلاح الأدباء حكاية قصيرة تشتمل كل واحدة منها على حادثة البطل يرويها عنه راو معين ويغلب على أسلوبها السجع والبديع. وهى تعتبر من البذور الأولى للقصة عند العرب لأنها ترمي إلى تصوير بعض النفوس و الشخصيات بطريق قصصي، ولو لا إنصرف الكتّاب إلى الصناعة اللفظية لخطت المقامات خطوات واسعة فى سبيل النثر القصصي إلا أنّها من ناحية الموضوع محاولة كبيرة لخلق القصة الفنية وإن لم تتحقّق فيها كل الشروط الفنية للقصة. وساهم فى هذا الفن بعد بديع الزمان الهمداني الأديب الكبير الحريرى وكتب حوالى خمسين مقامات على الموضوعات المتنوعة.

وكان الشكل المقامي أحد الأشكال القصصية العربية القديمة التى حاول العرب إحياءها فى بداية عصر النهضة ويدور حول موضوعات معينة شائقة سهلة الفهم كما أنه يهدف بالدرجة الأولى إلى جوانب تعليمية. فلما ظهرت فكرة إحياء التراث الأدبى مع فجر النهضة الحديثة حاول بعض الأدباء تطوير شكله ومن هؤلاء الأدباء الشيخ ناصف اليازجي الذى سعى إلى إحياء فن المقامة وكان من ثمار جهوده كتابه "مجمع البحرين" الذى نشره عام1856م وحافظ فيه على الخصائص الفنية للمقامة.

ومن المقامات المهمّة التى قاربت أدب القصة القصيرة "المقامة الفكرية السنية فى المملكة الباطنية" لعبدالله باشا فكري التى طبعت للمرة الأولى سنة 1290هـ حيث عرّبها عن التركية بصورة أدبية. وقد نسب هذه المقامات إليه حين سمّاها "المقامة الفكرية" نسبة إلى إسمه عبد الله فكري وهذه المقامة كما يقول الدكتور محمد رشدى حسن بها من مقومات القصة الشيئ الكثير ففيها موضوع و فكرة وشخصيات وحوار وعقدة و حلها ويجمع بين هذه العناصر عنصر التشويق غير أن لغة عبد الله فكرى وإن كانت قادرة على التصوير كما هى قادرة على التعبير،فإنّها قد قيدت إنطلاقها بسجع ومحسنات وتزيين لفظ وبديعيات مما ضيّق من نطاق التصوير وحدّ من حرية التعبير.[7]

ومن المقامات قريبة الشبه أيضا بالقصة القصيرة "الساق على الساق فى ما هو الفارياق" ومؤلفها أحمد فارس الشدياق الذى وضعها كما يقول جورجى زيدان لوصف أسفاره وذكر مصائبه التى أمّرت شبابه وما فعلته طائفة الأكليروس بأخيه سعد ومجموعة مترادفات فى شتى الموضوعات.[8] وعدّها الدكتور محمد يوسف نجم البداية الحقيقية للقصة القصيرة فى الادب العربى الحديث.[9]

أما حديث عيسى بن هشام التى نشرها مؤلفها محمد المويلحي على صفحات جريدة "مصباح الشرق" تحت عنوان فترة من الزمن ثم جمعها فى كتاب فإن معظم النقاد والدارسين يعدونها أول عمل نثري يعرض لمظاهر الحياة المصرية ويناقش مشكلات المجتمع فى مختلف ظواهرها. ويرى بعض الأدباء أن محمد المويلحى قد تأثر بأسلوب المقامة العربية القديمة حين تناول المجتمع المصرى ومشكلاته كما ذهب كثير من النقاد ومنهم الدكتور محمد رشدى حسن إلى أن المويلحى هو الرائد الأوّل للقصة المصرية القصيرة الحديثة.[10]

القصة القصيرة في العصر الحديث ودور الترجمة

وإذا نتحدث عن نشأة القصة القصيرة من ناحية الفن فنستطيع أن نقول أن القصة القصيرة الفنية ظهرت فى الأدب العربى فى العصر الحديث ولم تنشأ من أصل عربي فنا كاملا ولو كان موجود من ناحية الموضوع. وإنما تأثرت بالأدب الأوروبى مباشرة و ظهرت فى الأدب العربى الحديث فى مطلع القرن العشرين بطريقة الترجمة وقد ترافقت نشأتها وتطورها مع إزدهار الصحافة التى كان لها دور فاعل فى بلورة عناصرها الفنية و أبعادها الإجتماعية والتاريخية ومع إنتشار الثقافة وبروز أعلام من الكتّاب المتخصصين فى هذا اللون الشائع من الأدب.[11] لقد تأخّر ظهور القصة القصيرة فى الأدب العربى الحديث لأن العرب كانوا يعتقدون بأنها فن غربى غير ملائم مع البيئية العربية والثقافة العربية وكان من إعتقاداتهم بأنهم سيخففون قيمة الأدب العربى الموروثى إذا تقلّدوا الأدب الغربى، ولهذا لم يشتغل بها كبار الأدباء ولم يكن هناك أى وسيلة لإشاعة القصة القصيرة أو بعض المجلات التى تنشرها.

وفى سنة 1798م هجم نابليون على مصر وكان من نتائج ذلك الهجوم إتّصال أدباء العرب بالأدباء الغرب حين أخذ جلّ الطلّاب يُرسلون إلى البلاد الغربية ولاسيما إلى الفرنسا، فنهض أهالى مصر من نومهم العميق وتأثر أدباء العرب بأدب الفرنسى تأثيرا بالغا فأسّسوا الأدب العربى الحديث على منوال الغربى بناحية وجدّدوا الأدب العربى الكلاسيكى لعصر العباسى بناحية أخرى. وحاول هؤلاء الأدباء فى بداية الأمر أن يترجموا الروايات والقصص عن الفرنسية والإنجليزية والروسية إلى العربية. تعد الترجمة من أهم القنوات التى وصلت من خلالها عناصر الفن القصصى الغربى إلى الأدب العربى الحديث. فكان أن تأثر أدباء العرب بها وما لبثوا أن أخذوا بها فى كتاباتهم وأوّل قصة غربية نقلت إلى اللغة العربية الحديثة هى قصة "مغامرات تليماك" أشهر أعمال الكاتب الفرنسى فينلون (Fenelon) والتى عرّبها رائد حركة الترجمة رفاعة الطهطاوى بعنوان "مواقع الأملاك فى وقائع تليماك" عام 1867م. وقد لعبت مجلة "الجنان" التى أصدرها المعلم بطرس البستانى ببيروت عام 1870م دورا كبيرا فى نقل الأدب الغربى إلى اللغة العربية وهى التى فتحت صفحاتها للمحاولات القصصية الأولى كما ترجم نجيب الحداد مسرحية "السيّد" لكورناي (Corneille) بعنوان "غرام و إنتقام" و"الفرسان الثلاثة" للكاتب الفرنسى "الكسندر دوماس" و"هرنانى" للكاتب الشهير فيكتور هيجو (Victor Hugo) بعنوان "شهداء الغرام". ومن رواد ترجمة القصص الغربى بمصر محمد عثمان جلال الذى عرّب بعض الأعمال الأدبية الغربية كطرطوف للكاتب المسرحى الفرنسى موليير (Moliere) وقصة بول و فرجينيا لبرنار دين دي سان بيير (Bernardin de st. Pierre) بعنوان الأمانى والمنة.

ومع ذلك لعب مصطفى لطفى المنفلوطى دورا هاما بارزا فى تعريب كثير من الروايات والقصص، ولم يكن يعرف لغة أجنبية فكانت ثقافته ضيقة ولكنه عكف على المترجمات يقرأ فيها ويوسّع آماد فكره بكل ما يستطيع من قوّة. وكان فيه طموح و رغبة،فرأى أن يترجم بعض القصص والمسرحيات الغربية ولكن أنّى له وهو لا يحسن الفرنسية ولا غيرها من اللغات الأوروبية،فقد طلب إلى بعض أصدقائه أن يترجموا له بعض آثار القوم الأدبية ينقلونها هم أوّلا ثم ينقلها هو إلى أصلوبه الرصين.[12] وكانت طريقة المنفلوطى أن يأخذ ما ترجم له ويمصّره تمصيرا ويعطى لنفسه فى ذلك حرية واسعة حتّى لكأنّه يعيد كتابته وتأليفه من جديد ومن القصص التى أعاد تأليفها على هذا النحو قصة بول وفرجيني لبرنار دين دي سان بيير (Bernardin de st. Pierre) وسماها "الفضيلة" وقصة ما جدولين أو تحت ظلال الزيزفون لألفونس كار وقصة الشاعر أو سيرانودى برجراك لأدمون روستان وفى سبيل التاج لفرنسواكوبيه. و بهذا الأسلوب من حرية التصرف و التحرير الواسع مصّر طائفة من القصص القصيرة لبعض الكتاب الفرنسين ونشرها فى كتابه "العبرات" بعد أن أضاف إليها بعض قصص من تأليفه و جميعها قصص حزينة باكية، وكان من نتائج ترجمة المنفلوطى أن كتاباته هيأت الأذهان والقلوب لتقبل فن القصص القصيرة على نطاق واسع.[13]

دور الصحافة في القصة القصيرة

وقد ساهمت الصحافة العربية فى نشأة القصة القصيرة العربية وتطوّرها مساهمة هامة والقصة بمعناها الصحيح لم تعرف فى الأدب العربى إلاّ عن طريق الصحافة. فمن الثابت فى تاريخ الصحافة أن القصة التى إتصل بها الشرق العربى كانت فى أوّل أمرها مترجمة لا مؤلفة. قامت الصحافة بدور كبير فى نشر الفنون الأدبية بين مختلف البيئات الأدبية العربية منذ ظهورها فى الشام ومصر وبقية الأقطار العربية الأخرى. ومن أوائل المجلات التى ساهمت فى تطور الفن القصصى مجلة "البيان" لعبد الرحمن البرقوقى و هذه المجلة أخذت فى الإلتفات إلى القصة القصيرة المترجمة منذ عام 1919م فنشرت بعض القصص لإيفان ترجنيف وإسكندر بوشكين الأديبين الروسيين وشاتو بريان الكاتب الفرنسى ولودفيج تيك الكاتب الألمانى.[14] ثم ظهرت "السياسة الأسبوعية" لمحمد حسين هيكل فقام بترجمة القصص القصيرة أسبوعيا ورصدت لها بابا ثابتا بين أبوابها. وكان من المعاصرين صالح حمدى الذى كان يرأس مجلة "المؤيد" ونشر فيها مجموعته "أحسن القصص" وخلال هذه الفترة أصدر محمد لطفى جمعة رواية واقعية "فى وادى الهموم" و نرى فى ذلك العصر كثير من المجلات والصحف قام بنشر القصة القصيرة مثل "الهلال" لجورجى زيدان و"البلاغ الأسبوعى" لعبد القادر حمزة و"شهرزاد" لمحمد حسن نائل المرصفى وغيرها.

وجاء بعد ذلك "المدرسة الحديثة" لتطور القصة القصيرة و لعبت دورا هاما في تطورها ومن أدباء هذه المدرسة محمد طاهر لاشين ومحمود تيمور وإبراهيم المصري وغيرهم. أصدر أدباء المدرسة الحديثة مجلة "السفور" وكانوا ينشرون فيها المترجمات من الفرنسية والروسية وبعد توقفها أصدر أحمد خيرى سعيد صحيفة "الفجر" التى كانت لسانا للمدرسة الحديثة وبعد ذلك أخذت القصة القصيرة العربية تنموا حين أثرتها أكثر الصحف والمجلات.

وقد وقع إختلاف بين مؤرخي الحركة الأدبية العربية الحديثة حول أول قصة قصيرة فنية ظهرت في الأدب العربى فالمستشرق الروسى كراتشوفسكى والألمانى بروكلمان والفرنسى هنرى بيرس يرون أن قصة "فى القطار" لمحمد تيمور التى نشرت عام 1917م فى جريدة "السفور" هى أوّل قصة تحمل المعنى الفنى لأن كاتب هذه القصة كان واعيا بأصول كتابة القصة القصيرة وإنه كتب ست قصص قصيرة فى مجلة "السفور" أوّلا وبعد وفاته جمعت فى كتاب بعنوان "ما تراه العيون". ويخالف هذا الرأي الأستاذ عباس خضر فى كتابه الأقصوصة فى الأدب العربى الحديث فيذهب إلى أن قصة "سنتها الجديدة" التى نشرت عام 1914م للكاتب المهجرى ميخائيل نعيمة هى أوّل قصة فنية فى الأدب العربى. أما الدكتور محمد يوسف نجم فيرى أنها قصة "العاقر" لميخائيل نعيمة أيضاً التى نشرت عام 1915م.[15]

وبعد ذلك ساهم فى هذا الفن الإخوان شحاتة عبيد وعيسى عبيد وأصدر عيسى عبيد مجموعتين من القصص أوّلها "إحسان هانم" 1921م والأخرى "ثريا" عام 1922م و أصدر شحاتة عبيد مجموعة بعنوان "درس مؤلم" 1922م وأصدر الأديب المبدع يحيى حقى عدة مجموعات من القصص مثل دماء و طين وأم العواجز وصح النوم وغيرها. وفى سنة 1927م أصدر أحمد حسن الزيات مجلة "الرواية" لإشاعة القصة و الرواية ويميل الأدباء إلى كتابة القصص القصيرة وكانوا ينشرون إنتاجهم القصصى فى هذه المجلة. ومن أشهرهم توفيق الحكيم ونجيب محفوظ وغيرهما وتوقفت هذه المجلة خلال حرب العالمية الثانية. ولعل محمود تيمور هو أبرز قصصى ظهر فى تلك الفترة وإستمر يكتب القصة القصيرة منذ عام 1920م حتى وفاته عام 1973م وقد أصدر أكثر من خمسين كتاباً منها عشرون مجموعة قصصية تضم أكثر من ثلاثمائة قصة. وعلى الرغم من تنوع إنتاجه، فإن القصة القصيرة هى تخصصه الأوّل وقد بدأ كتابتها متأثرا بدعوة الأخوين عيسى وشحاتة عبيد إلى خلق أدب مصري.[16]

وبعد ذلك إتخذ جل الأدباء من الأدب القصصى هواية و وقفوا جهدهم على القصة القصيرة ومنهم محمد طاهر لاشين الذى أصدر قصصه فى ثلاث مجموعات "سخرية الناىٔ" و"يُحكى أن"و"النقاب الطائر". ومن أبرز الأدباء الآخرين الذين وضعوا إنتاجهم لهذا الفن فى الأدب العربى من أمثال طه حسين ويوسف إدريس و إبراهيم المصرى ويوسف السباعى وغيرهم وبسبب إنتاجهم القيمة تطوّرت القصة القصيرة تطورا بالغا من حيث الأسلوب والفن والموضوع.

المراجع والحواشي

1. أحمد أمين : فجر الإسلام, الطبعة العاشرة, دار الكتاب العربى بيروت لبنان 1969م ص 67.
2. القرآن : صورة يوسف 3.
3. القرآن : صورة القصص 45.
4. صحيح المسلم : راوى جابر بن سمرة 1424.
5. د. محمد زغلول سلام : دراسات فى القصة العربية الحديثة , ص 65.
6. د. ميشال عاصي : المعجم المفصل فى اللغة و الأدب , ص 980.
7. محمد رشدى حسن : أثر المقامة فى نشأة الثصة المصرية الحديثة , الهيئة المصرية العامة للكتّاب, 1974م ص 85.
8. جورجي زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية, ج 4 دار مكتبة الحياة بيروت 1967م ص 600.
9. محمد يوسف نجم : القصة فى الأدب العربى الحديث, دار الثقافة بيروت ص 246.

10. محمد رشدي حسن : أثر المقامة فى نشأة الثصة المصرية الحديثة , الهيئة المصرية العامة للكتّاب, 1974م ص 397.

11. د. ميشال عاصى : المعجم المفصل فى اللغة و الأدب ، ص 981.

12. شوقى ضيف : الأدب العربى المعاصر فى مصر, الطبعة العاشرة, دار المعارف 1992م ص 229.

13. د. محمود حامد شوكت : مقومات الفصة العربية الحديثة فى مصر, ملتزم الطبع و النشر دار الفكر العربى 1924م ص 248.

14. محمود فياض : الصحافة الأدبية بمصر, ج 2 الجهاز المركزى للكتب الجامعية و المدرسية و الوسائل التعليمية, 1982م ص 173.

15. يوسف الشارونى : القصة تطوّرا و تمرّدا, الطبعة الثانية, مركز الحضارة العربية, 2001م ص 74.

16. يوسف الشارونى : القصة تطوّرا و تمرّدا, الطبعة الثانية, مركز الحضارة العربية, 2001م ص 77.